

## السياسة الخارجية المغربية بين المذهبي والسياسي: سياسة المغرب تجاه إيران نموذجا\*

صفحة الدراسات في «البناء»، أنشئت لتكون مساحة للأبحاث العلمية المتعلقة بشتى المواضيع ذات الصلة في قضايا الأمة والعالم العربي.

وهي إذ تتسع لمثل هذه الدراسات تبقى مجالاً مفتوحاً للحوار وطرح الإشكاليات الفكرية والسياسية وغيرها، وتنشيطاً لدور الثقافة في الضرورة الاجتماعية. علماً أن الآراء التي تزد على مساحة الصفحة تعبر عن أصحابها وليست بالضرورة مطابقة لقناعات الصحيفة. إلا أنه انطلاقاً من القناعة الراسخة بضرورة خلق حوار فكري حول القضايا والإشكاليات كافة وما أكثرها، والتي تفرض نفسها على صاحب القرار والمتقف وقادة الرأي والمواطن في أي موقع كان، كانت صفحة الدراسات في «البناء» هي الترجمة العملية لهذه القناعة أملين أن تشكل هذه الصفحة مساحة فكرية .سياسية تعنى بهوم الوطن والمواطن. تدرس الحاضر لترسم المستقبل.

### عبد الفتاح نعوم\*\*

يركز معظم الدراسات والأبحاث السياسية الخارجية المغربية<sup>1</sup> على الأطر القانونية والدستورية التي تتحكم في عملية صنعها، والتي تطعي موقعاً مميزاً للملك باعتباره التاويل الموسع الذي يكتسبه موقع إمارة المؤمنين المنحوح له دستورياً<sup>2</sup>. ويتضح ذلك سواء أثناء دراسة شبكة القنوات التي يمر منها القرار في السياسة الخارجية المغربية أو أثناء دراسة المواضيع التي تتناولها هذه السياسة، كالسياسة الأفريقية للمغرب أو السياسة العربية أو السياسة الخارجية المغربية تجاه القارتين الأوروبية والأمريكية. لكن ما تغفله معظم تلك الأعمال هو طبيعة السلوك في السياسة الخارجية المغربية، والذي هو ذوارتباط وثيق بتركيبة النخب المسؤولة عن عملية صنع تلك. بحيث أن ميزان القوى الداخلي والخارجي هو الذي يتحكم في صياغة التوجهات الكبرى للسياسة الخارجية المغربية.

فالملك في المغرب ليس مجرد مسؤول عن إدارة شؤون البلاد، وليس فقط حاملاً لمضمون هوياتي مغربي تراكم عبر القرون. بل هو ممثل لشبكة مصالح ضخمة، بحيث أنه يمتلك استثمارات كبيرة ممتدة على مساحة المغرب، وبحكم موقعه الاقتصادي ذاك، فهو يمتلك امتيازات كبيرة في السياسة، وهذه بدورها تمارس لتحسين مصالحه في الاقتصاد. وهذه الخاصية التي تنقاسها الملكية في المغرب مع بعض الملكيات والإمارات الأخرى في المشرق، هي التي كانت في اصطدام مباشر مع شعارات حركة 20 فبراير<sup>3</sup>.

فمن الطبيعي أن اكتسب سلطات الملك مكانة مركزية في نظام الحكم في المغرب، وبالتالي يكون له بالغ التأثير في صوغ السياسات الداخلية والخارجية<sup>4</sup>. وهذا الدور المحوري للملك يجعل مختلف الفاعلين المؤثرين في صنع القرار بالمغرب قريبين منه، ومرتبطين بالتوجهات التي يرسمها الملك. بل إن ما يصدق على القرارات ذات الصلة بالسياسة الداخلية يصدق على السياسة الخارجية، أيضاً. ويتعلق الأمر بالارتجالية والأمزجة وردود الفعل غير المدروسة، وذلك ناجم عن اصطلاح مؤسسات جزبات بعينها قريبة من الملك مثل مديرية المستندات والتوثيق والمعهد الملكي للدراسات الاستراتيجية، بهام نقل المعلومات وتقرير القرارات والدفع نحو اتخاذها، وهي آليات يصبغ استجلاؤها أو الإطلاع على سبل سيرها<sup>5</sup>.

نتائج السياسة الخارجية هنا باعتبارها امتداداً للسياسة العامة لدولة ما، والإسلوب الذي تتبعه لتسيير علاقاتها مع الكيانات الأخرى خارج حدودها سواء أكانت دولاً أم منظمات<sup>6</sup>. ونميز في هذا الصدد بين الأهداف المعلنة للسياسة الخارجية، وبين السلوك الخارجي العملي<sup>8</sup>، وهو السلوك الذي يتأثر بشكل كبير بالتركيبة النفسية والاجتماعية والخلفية الثقافية لمن يتخذ القرار، ولذلك نلمس تميزاً في السياسات الخارجية للدول من مسؤول إلى آخر ومن قائد إلى آخر.

وارتباطاً بذلك، سنحاول في هذه الدراسة أن نسلط الضوء على العوامل المؤثرة في السياسة الخارجية المغربية، وعلى العواطف البنوية الكامنة فيها. فسياسة المغرب الخارجية إلى جانب اتسامها بالبراغماتية وتأثيرها بمجريات تحولات النظام الدولي، تمتاز بالانفعال وبالتبعية، وسنحاول تبين ذلك من خلال ترموز علاقات المغرب مع إيران، والتي تميزت بالشد والجدب منذ الثورة الإسلامية عام 1979 إلى اليوم.

الشكالية الدراسة: إلى أي حد يمكن اعتبار السياسة الخارجية المغربية تجاه إيران سياسة تابعة لاجندات إقليمية ودولية، وهل هي سياسة ردود فعل غير مدروسة وغير مبررة على نحو عقلائي، وكيف يظهر ذلك من خلال العلاقة بين المذهبي والسياسي ضمن محاورها؟

فرضية الدراسة: السياسة الخارجية المغربية تجاه إيران دليل على أن تلك السياسة الخارجية المغربية موسومة بالارتباط لاجندات إقليمية ودولية، وبأنها سياسة ردود الفعل غير المدروسة وغير المبررة، والعلاقة بين الديني والسياسي ضمن محاورها هي التي تختزن تلك السمات. منهج الدراسة:

اعتمادنا في هذه الدراسة على المنهج التسقي أو منهج تحليل النظم وتحديدًا على نموذج ديفيد إيبستون، ومؤداه أن لكل نظام سياسي بيئة تتضمن المدخلات التي هي المشاكل والمخرجات التي هي النتائج وردود الفعل على المشاكل، والتغذية العكسية التي تجعل الحلول تتحول إلى مشاكل جديدة<sup>9</sup>. وبناءً على ذلك سنستعمل مع السياسة الخارجية المغربية تجاه إيران كمخرجات للبيئة السوداء للنظام في المغرب، وتتعامل مع المعطيات والأحداث التاريخية كمدخلات، من أجل بناء نسق من الأحكام على السياسة الخارجية المغربية في العالم المعاصر، وي طرح العملي فيها من المعن، ليعودوا إلى صافي الإسلام أخذت صوراً مختلفة المغربية، بعد تفكيك شفرات العلاقة بين الديني والسياسي ضمن محاورها ومحطاتها. أولاً تاريخ من العلاقات غير المستقرة بين المغرب وإيران

عرفت «الثورة الإسلامية» في إيران عام 1979 نجاحاً غير متوقع، وزيادة على ذلك، نجح الخميني في تكريس نظريته حول «ولاية الفقيه»، نموذجاً للحكم في إيران ما بعد الثورة. بل وعكس توقعات خصوم الخميني من الإيرانيين ومن غيرهم فقد كتب النجاح لأول دولة دينية في القرن العشرين بعد ثورة شعبية عارمة<sup>10</sup>، بخاسة أن النخب المثقفة في إيران كانت تعتبر أن لا مكان لرجال الدين في العالم المعاصر، عكس ما كان يراه الخميني من أن الحرب على صافي الإسلام أخذت صوراً مختلفة يجمعها تأكيد أن الإسلام دوره منحصر في الأخلاق والعبادات<sup>11</sup>. وكان من بين أهداف الخميني تصدير الثورة إلى خارج إيران<sup>12</sup>،



الإيرانية لا سيما أن هذا نشاط طبيعي تقوم به تمثيلات جميع الدول عبر العالم في البلدان المضيفة لها في إطار الدبلوماسية العامة. ناهيك عن أن كل هذا جاء في سياق تبادل للزيارات الرسمية وعلاقات على جميع المستويات، فمثلاً على الصعيد التجاري وصلت قيمة المبادلات إلى 8 مليون درهم سنة 2006.

فإذا كان التحجج بأي خطر يمس الوحدة المذهبية والعقدية فينبغي استشهارة من بعض أنشطة السعودية<sup>33</sup> التي تنشر العقيدة الوهابية الأكثر خطراً على الأمن الروحي للمغاربة<sup>34</sup>. لكن المغرب يتساهل بين الفينة والأخرى مع تلك الأنشطة نظراً إلى الموقف الإيجابي للوهابية من طاعة أولي الأمر، وزيادة على الدور الذي قامت به هذه الحركة في التصدي للمد اليساري ولمشروع جماعة العدل والإحسان. أما في خصوص موقف الشيعة الإمامية السائدة في إيران من إمارة المؤمنين فهو موقف إيجابي بحيث أنهم يجعلون الإمامة أصلاً من أصول الإيمان وهي لعلي وأبنائه، ولدليل تقديسهم لأحفاد علي ابن عم النبي استقبل الإيرانيين للحسن الثاني أثناء زيارته لهم أيام حكم الشاه كما يروي عبد الطيف القبالي وزير الخارجية الأسبق في مذكراته، زيادة على أن تكفير فقهاء المغرب للخميني كان بسبب تأويله لمكانة الإمام وليس لموقف معين من إمارة المؤمنين بالمغرب.

\* الدراسة أعدت بطلب من مجلة شؤون الأوساط المتخصصة في جامعة محمد الخامس بالرباط Naoum.abdefattah@gmail.com

26. يقصد به القرون الثلاثة الأولى للإسلام، أي الصحابة والتابعون وتابعو التابعين.  
27. تم توارث هذه الرؤية منذ السلف بشكل حرفي إلى محمد ابن عبد الوهاب مروراً بآبن الزاغوني وآبن تيمية وآبن القيم، وهذا النموذج مأخوذ من: أحمد ابن عبد الحلیم ابن تيمية، العقيدة الواسطية، تحقيق علوي بن عبد القادر السقاف، مؤسسة الدرر السنوية للنشر، السعودية، الطبعة الأولى 1433 هجرية، ص91.

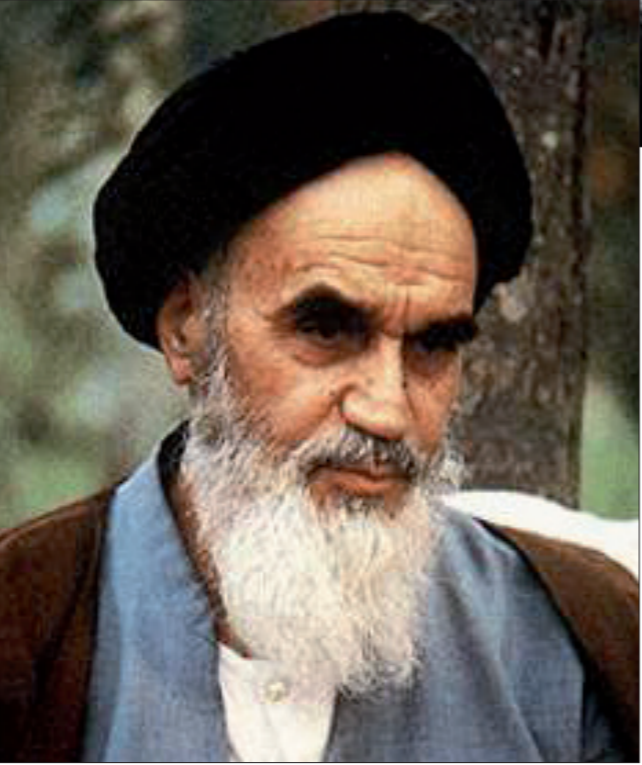
28. في حقيقة الأمر هناك الكثير من التفاصيل في هذا الباب والتي لا يتسع المجال لسردها، لكن يمكن الإطلاع على تلك التفاصيل في عدد كبير من الكتب التي تتناول الموضوع، والتي يساهم شيوخ الوهابية في إنغاثها من وجهة نظرهم طبعاً، لكن لا يضير الباحث الرجوع إليها لتقصي وجهاً نظرها بالرغم من أن تاريخيتها.  
29. يمكن ملاحظة ذلك بسهولة مثلاً إلى اليوم في المنشورات والكتيبات الخاصة بالعقيدة التي تملأ مطابع وخزانات السعودية، والتي يصدرها شيوخ الوهابية المناقحين عن التفويض والمنافضين للتاويل، فتقبل منشوراتهم بتقنية العقائد الأخرى من الأشاعرة إلى المالكية إلى الشيعية، مثلاً يراجع: عبد الله ابن باز، العقيدة الصحيحة وما يضادها، منشورات الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة السادسة، 2007.

30. بهذا الخصوص فاهل السنة غير متفقين على تكفيرهم، بحيث لا يضيرهم أن يحسموا مسألة الإمامة بالعقيدة كما لا يضير أهل السنة أن يحسموها بالفقه، يراجع: محمد سليم العوا، العلاقة بين السنة والشيعة، سلسلة كتاب الجيب، العدد 52، منشورات الزمن، 2006، ص56.

31. على أن كل تيارات الشيعة في الماضي والراهن ليسوا في وئام تام مع التصوف، بحيث يمتد تيار «الرافضة» التي توطن في الاثنى عشرية والجارودية وغيرها، يبعث التصوف وأهله، كما يتكر على التيارات الأخرى الغير «رافضية» مسأكتها المناصرة آل البيت ومن يعتبرهم الرافضة أعداءهم، ويسمون هذا التيار بـ «البترية»، ويمثلهم في الراهن تيار «محمد الشيرازي» وهم معادون لإيران وحلفها، ويعتبرونهم مدعي تشيع، ولشعب وشيوخ عدة أمثال ياسر الحبيب وحسن الله ياري، بحيث يمتلكون فضائيات تلفزيونية مخصصة لمهاجمة رموز السنة ومهاجمة إيران وحلفها الإقليمي.

32. صرح مفتي مصر على جمعة بأن لا خلاف بين الشيعة والسنة، موقع الموضوع نت بتاريخ 02/03/2009، ويمكن استسقاء الكثير عن هذا الموضوع بالتعامل الشرعي مع غير المسلمين، مثلاً يراجع كتاب أحمد الطيب فأغلب شيوخ الأزهر وفقهاؤه لا يكفرون الشيعة، هناك استثناءات تخص بعض الشيوخ الذين تبناوا الفهم الوهابي للعقيدة الإسلامية وبالتالي توزيع العلم على كل من سواهم، أو اعتبار عقائدهم فاسدة في أحسن الأحوال.  
33. السعودية تتعامل مع الوهابية كأداة لمحاصرة المد الشيعي، ولذلك نلمس شرخاً بائناً بين معتقدات ومواقف شيوخ الوهابية وبين أسلوب عيش الأمراء والأميرات في المملكة العربية السعودية، وبين شكل الإعلام وغيره وهي أمور لا ترضي حتماً أتباع الوهابية، لكن يجري ضبطهم بمنطق عدم الخروج على ولاة الأمر.  
34. فقهاء المغاربة الرسميون والذين هم خريجو مؤسسات التعليم الديني العتيق بالمغرب، لا يعتبرون الشيعة من غير المسلمين أثناء التأصيل للتعامل الشرعي مع غير المسلمين، مثلاً يراجع كتاب مصطفى بن حمزة رئيس المجلس العلمي لمدينة وجدة، التأصيل الشرعي للتعامل مع غير المسلمين، مجلة المجلس، منشورات المجلس العلمي الأعلى، الطبعة الأولى، 2010.

## البناء



الخميني

ومذهب بينها وبين عقيدة المغاربة فلماذا أزعج بيان وزارة الخارجية المغربية سبب الخلاف إلى تهديد إيراني للوحدة المذهبية للمغرب؟ بهذا الخصوص ينبغي الإشارة إلى أن هذا الأمر تم برضى المغرب منذ بداية التسعينات وبحيث وقع الطرفان سنة 1995 اتفاق تبادل ثقافي لثلاث سنوات، ثم محضر للتعاون الثقافي بين المغرب والسعودية سنة 1998، علاوة على حضور علماء الدين الإيرانيين للدروس الحسينية على عهد الملكين، فلامبرر لاحتجاج المغرب على الأنشطة الثقافية

كمؤسسة الأزهر تعتبر الشيعة الإمامية الاثنى عشرية الجعفرية، تعتبرها مذهباً من مذاهب المسلمين المعتبرين<sup>29</sup>، في حين تعتبر الوهابية وحدها أن عقيدة الأزهر التي هي نفسها عقيدة المغاربة عقيدة فاسدة، والتصوف بدع منكدة، والشيعة رافض كفار بالمطلق، ودونما تفريق بين ملهم وطوائفهم، ودونما التفريق بين إيران كدولة وبين المجتمع الإيراني كتنسج معقد من الولادات الفكرية والدينية والسياسية، فإذا كان الوضع هكذا، وإيران لا يوجد خلاف جوهر في العقيدة

كان السلف<sup>26</sup> «يفوضون» معانينا إلى الله ويأخذونها كما هي «من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل»<sup>27</sup>. لكن بعد توسع رقعة الإسلام في أواخر القرن الثالث للهجرة وما بعدها طهر مشكل لدى غير العرب في فهم المجازات اللغوية في اللغة العربية، وأصبح خطر الوقوع في التحجيم في الذات والصفات يصدق بالعقيدة الإسلامية فأخذ قسم من فقهاء المسلمين يأخذون تلك الصفات على سبيل المجاز، ويقومون بصرف المعاني الظاهرة إلى معانٍ أخرى، كتفسير يد الله بالقدرة والاستواء بالتمكنين وهكذا<sup>28</sup>.

وترتب على ذلك كم كبير من فتاوى التكفير ملأت صفحات كتب الفقه والعقيدة منذ تلك الفترة، بحيث



عبد السلام ياسين... الأكثر احتفاءً بالثورة الإسلامية في إيران

اتجه الفریق الذي تعصب لرؤية السلف على رغم لا تاريخيتها إلى الحديث عن فساد عقائد كل من يقول بغير ما يقولون به<sup>29</sup>. وبخصوص الشيعة فجزى تكفيرهم لأنهم يجمعون بين التاويل في الذات والصفات كما هو شأن الأشاعرة، وبين أخذ موضوع الإمامة بالعقيدة بحيث يعتبرونه أصلاً من أصول الإيمان<sup>30</sup>، ويضيفون إلى ذلك ما يسميه شيوخ الوهابية بالبدع والضلالات التي يقتسمونها مع أهل التصوف<sup>31</sup>.

المهم من كل هذا أن مؤسسة سننية عريقة

### مراجع

- وهي إما أطروحات نوقشت في كليات الحقوق بالمغرب وقليلة جداً، أو محاضرات وكتب لباحثين وأساتذة تعليم عال بالمغرب، أو كتابات أجنبية، أو مقالات، تصاف إليها السير الذاتية القليلة جداً في هذا الباب التي كتبها خبراء في السياسة الخارجية المغربية أمثال عبد اللطيف القبالي أو عبد الهادي بوطاط.
- يتعلق الأمر بالفضل 19 من دستور سنة 1996، والفصلين 41 و42 من دستور سنة 2011.
- وهي حركة أُنشئت في العشرين من فبراير من سنة 2011، في سياق أحداث الاحتجاج التي عرفت باسم الربيع العربي، وكان من بين أهم مطالبها الفصل بين السلطة والثروة، ومحاسبة من يملك السلطة. ورافق شعارها ذاك يحمل صورا من يعرفون بالخبزة الملكية من مدراء أعمال ومستشارين سياسيين واقتصاديين للملك.
- على رغم إقرار دستور جديد سنة 2011 إلا أن الملك احتفظ بنفس الموقع على الصعيد صنع السياسة الخارجية، يراجع: الحسن بوقنطار، السياسة الخارجية 2000-2013، سلسلة مواضيع الساعة، المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، عدد 86، سنة 2014، ص36.
- نتطلق من الفرضية القائلة بأن السياسة الخارجية لأي بلد ترتبط بشكل جدلي مع السياسة الداخلية، وأيضاً باعتبار الطابع القطعي للسياسة الخارجية بما يعنى الحديث سياسات خارجية وليس سياسة خارجية فقط. وبخصوص التجربة المغربية فللمزيد من الإطلاع يراجع:
- هذا ما يتفق علىه معظم الباحثين والمهتمين والعقائدين بالمغرب، نتشدهم بمقابلة أجراها الباحث مع الأستاذ محمد الطوري بتاريخ 07/01/2014 بالرباط.
- محمود خلف، علم العلاقات الدولية، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 1987، ص61.
- عادل مسايدي، علاقة المغرب مع أفريقيا جنوب الصحراء بعد انتهاء القليبة الثنائية، أطروحة ليل الدكتوراه في القانون العام، جامعة محمد الخامس للدراسات والبحوث، الرباط، 2003، ص5.
- David Easton، an approach to the analysis of political systems، world politics، vol 9، no 3، page 384، 1957.
- أروند إبراهيميان، تاريخ إيران الحديثة، ترجمة مجدي صبحي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- الكويت، عدد 409، شباط 2014، 230/231.
- روح الله الخميني، الحكومة الإسلامية، الطبعة الثالثة، دون نشر ولا تاريخ نشر، ص7 وما بعدها.
- فقد استعملنا أنها «نهضة إسلامية ومن الطبيعي أن يتفاعل معها جميع مسلمي العالم»، يراجع: تصدير الثورة كما يراه الإمام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، طهران، من دون تاريخ ونشر ولا رقم الطبعة، ص10.
- الروهابية ليست مذهباً إسلامياً بالمعنى الدقيق للكلمة، وهي تسمية لا يرضى عنها من تطلق عليهم، لكن هي تطلق عادة على أتباع أتاويلات محمد ابن عبد الوهاب الشيخ الحنبلي المتشدد الذي عاش في نجد في أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر. وآراؤه الفقهية والعقدية لم تكن محل اتفاق حتى بين فقهاء الحنابلة ممن عاصروه، كما هي متفعل عليها داخل السعودية وخارجها اليوم عاش في نيتسيون إليها. أما بخصوص تعاطي الحكم في المملكة مع من يمثلونها من شيوخ فهو تعاط انتقالي، بحيث لا تتورع السلطات عن الاعتناء بمن يرضيها والتكئيل بمن يخالفها. للمزيد بهذا الخصوص يراجع: توماس ميغهامر، الجهاد في السعودية، ترجمة أمين الأيوبي،